من النعم لا تحصى في البيئة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونتوب إليه، ونستغفره ونثني عليه الخير كله، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد المعبود بحق سبحانه، ولا ند له ولا شريك ولا ولد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير من قام بحق ربه عليه، فعبد ربه حتى أتاه اليقين.

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، الذين عرفوا ما لربهم من الحق، فقاموا به خير قيام، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد: عباد الله: إن من فضل الله علينا أن أوجدنا وخلقنا في هذه الحياة، وأمدنا بأصناف النعم، خلقنا في أحسن تقويم، وكرمنا أعظم تكريم، ومتعنا بالأسماع والأبصار والعقول، وسخر لنا ما في السماوات وما في الأرض، وما في الجو والبر والبحر، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وفضلنا على كثير من خلقه بالفطر الصحيحة، والعقول النقية، والجوارح السليمة، والنعم العظيمة، والمنن الجسيمة، كل ذلك ليحمل الإنسان الأمانة الغالية، والمسئولية الكبيرة، ليعرف في الوجود مكانته التي بوأه الله إياها، ووظيفته التي كلفه بها، والغاية المُثلى التي خلقه

لأجلها، والحق العظيم الذي عليه لله ربه خالقه ورازقه، ومدبر أموره، ومالك ضره ونفعه، وحياته وموته لا إله غيره، ولا رب سواه، فلا يَتَقاصَر عن أداء هذا الحق طرفة عين، ولا يتساهل في القيام به ساعة من ليل أو نهار إلى أن يتوفاه الله وهو على ذلك عملاً، بقوله سبحانه: ﴿وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾. وقوله جل وعلا: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ فلا يغفل عن عبادة ربه، ولا يفتر عن طاعته، ولا يدنس العبادة بشيء من الشوائب الشركية والبدعية، ولا يهبط إلى المستوى البهيمي، ولا يَسِفُّ إلى الحضيض الشهواني، ولا يتقاصر عن السمو والمعالي، بل ينطلق في رحاب الإيمان والعمل الصالح؛ ليملأ رصيده الحقيقي الذي سيقدم عليه، في يوم يكثر فيه المفلسون، ودون أن يقدح في انطلاقته الإيمانية قادح أو يخلخلها خلل.

أنعم الله علينا بهذه البيئة التي نعيش فيها، وهذه نعم جليلة تحتاج منا إلى شكرها وعدم الكفران بها.

فأنعم علينا بهذه الأرض: فهي فراشنا الذي نجلس وننام عليه، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾. وكل ما في الأرض فهو ملك لبني الإنسان، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. وأكلنا من هذه الأرض، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾. وسيرنا وسفرنا وترحالنا هو في الأرض، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾. ولذلك مكننا من الأرض فسيطر عليها الإنسان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾.

وهذه الأشجار والنباتات وثمارها من نعم الله تعالى، وقد أخرجها من النعمة الأولى نعمة الأرض، فلله الحمد والمنة واسمع معي لهاتين الآيتين العجيبتين، حيث قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ وقال تعالى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾.

ومن نعم الله نعمة الجبال وفضله فيها عظيم سبحانه ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾. وهذه الجبال حماية كاملة من العدو والريح والمطر وغيرها، قال الله ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾.

ومن نعم الله تعالى علينا نعمة البحار: نأكل منه اللحم الطري هذا الطعام، وفيه اللؤلؤ والمرجان، وهذا اللباس وفيه الفلك والبواخر وهذا المركوب، فلله الفضل والمنة قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

ومنها الرياح: حيث قال الله عنها: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

ومنها الأمطار: وهي رحمات الله على الأرض وكل نعم الله رحمة من الله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ

رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾. وانظر معي لهذه الآية التي تهز القلوب الطيبة ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾. وقال ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ومن نعم الله نعمة هذا البلد الحرام، قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ وقال: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾. فلله الحمد على نعمه المتتالية وفضائله التي لا تحصى ولا تعد.

*** *** ***

الخطبة الثانية

الحمد لله اللطيف بعباده فيما يجري به المقدور المدبر لهم بحكمته وعلمه، وفي الميسور والمعسور الذي فاضل بينهم في الذوات والصفات وجميع الأمور، ليبلوهم أيهم أحسن عملا وهو العزيز الغفور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في التقدير والتدبير، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي فاق جميع الخلق في الصبر على الضراء، والشكر

عند السرور صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان على ممر الأيام والدهور، وسلم تسليما.

ثم أما بعد:

وهبنا الله بجزيل فضله وعظيم كرمه جمال الطبيعة وروعة البيئة وهذا من عطائه وهباته وكرمه وخيراته، وكان الواجب علينا اتجاهها:

أولا: أن نشكر الله على هذه النعم ونحمده على فضله وكريم عطائه، وأن نستزيد من الطاعات ليزيدنا من فضله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

ثانيا: أن نطيع الله فيها ولا نعصيه، وهذا جزء من شكر تلك النعم، فلله الحمد والشكر.

ثالثا: تنفيذ الأنظمة المتعلقة بالبيئة، والصادرة من الجهات الرسمية المختصة، ومنها:

١- التحذير من المبيت في الأودية والشعاب.

٢- التحذير من المكوث في الأودية والشعاب أو قطعها بالسيارة أثناء مواسم الأمطار، لما في ذلك من تعريض للنفس والمال للهلاك.

٣- أهمية المحافظة على الغطاء النباتي، وعدم إفساد النبات أثناء الرحلات البرية.

٤- الحرص على نظافة المكان الذي ينزل فيه عند مغادرته واستشعار ما يترتب على ترك المخلفات البلاستيكية والمعدنية وغيرها، ومن المخلفات والقاذورات من إفساد للبيئة وإيذاء للناس.

٥- عدم قطع الأشجار والاعتداء عليها.

٦- عدم إشعال النار إلا في الأماكن المسموح بها، وإطفائها قبل مغادرة المكان.

٧- مراعاة الأنظمة التي أقرتها وزارة البيئة والزراعة والمياه، وكذلك المديرية العامة للدفاع المدني في هذا الجانب، والتي تحقق المصلحة العامة للجميع.